الشكلان الأساسيان لسرعة البديهة

«مذبح أوتي»، برنامج حواري مع (أوتفريد فيشر) كان يُعرَض في تلفزيون بايرن. في إحدى الحلقات كانت ضيفته الممثّلة (هيرتا شفيتسيغ) الآتية من المسرح النسائي التحرّري. وهي تجلس الآن وسط حلقة حوار مؤلّفة من أربعة رجال. في سياق اللقاء قال (أوتفريد فيشر) مخاطباً (هيرتا): «يخطر لي أن النساء اللواتي يقدّمن مسرحاً نسائياً لديهم جرأة كبيرة على البشاعة». ردّت (هيرتا شفيتسيغ): «إن كنتَ تقصد بذلك أن من يدافعن عن تحرّر المرأة بشعات دائماً، فأنا أجلس إلى طاولة تضمّ مدافعين عن تحرّر المرأة بشكل صارخ!».

كان هذا جواباً سريع البديهة. وكان ارتكاس (هيرتا شفيتسيغ) مباشراً وسريعاً، على العكس من ابنة أخي. فهنا يُهاجَم شخص ممن لا يذعنون بسهولة ويردّون الهجوم فوراً. وهذا هو المعنى الأول لكلمة سرعة البديهة في اللغة الألمانية. وأنا أسمّيه «حضور الردّ» أو «سرعة الردّ».

ولكن دعنا ننظر في الأمثلة الثلاثة التالية:

- يهرول السيد (برونر) على عجل نحو باب أحد المكاتب. ليس في مقدوره معرفة أن أحدهم يندفع مهرولاً من الجهة الأخرى نحو الباب وبالسرعة ذاتها أيضاً. يفتح السيد (برونر) الباب بسرعة على مصراعيه ويقف مذهولاً وجهاً لوجه أمام الشخص الآخر الذي يقول مذعوراً: «أوه، يا إلهي!». يردّ السيد (برونر): «بإمكانك أن تدعوني برونر أيضاً».
- هاهو رجل قصير القامة يقول: «... وهذا ما سأقوله للمدير في وجهه مباشرةً». فيضيف زميله: «وأنا سأرفعك عند ذاك».
- إحدى المتسابقات في برنامج (توماس غوتشالك) التلفزيوني حفلة منزلية كان عليها أن تأكل صراصير مقلية. حاولت المسكينة أن تعتذر قائلةً: «لست جائعةً، لقد تناولت للتو كباباً وسلطة بطاطا». ردّ (غوتشالك): «إذا أردتِ أن تريها ثانيةً، فكُلي».

تمثّل هذه الأمثلة الثلاثة نكات موقف.

بذلك نصل إلى المعنى الثاني لكلمة «سرعة البديهة». فسرعة البديهة هي أيضاً القدرة على خلق النكتة عفوياً من واقعة ما. وأدعوها في هذا الكتاب بـ«حضور النكتة» أو «سرعة النكتة». ويُعدّ كل من (هارالد شميت) و (ستيفان راب) و (كارل دال) و(توماس غوتشالك) أشهر من يمثّل هذا النوع من سرعة البديهة في التلفزيون.

إذن، ثمة نوعان من سرعة البديهة: الأول هو الدفاع عن النفس بشكل ظريف ضد هجوم لفظي، والثاني هو إبداء

ملاحظة فكهة عفوية انطلاقاً من الموقف.

إيجازاً أعرّف سرعة البديهة كما يلي:

يتناول هذا الكتاب سرعة البديهة في وجهيها كليهما: حضور أي سرعة الرد وحضور أو سرعة النكتة.

كلمة سرعة البديهة في لغات أخرى

إذا ما نظرنا في كلمة سرعة البديهة في لغات أخرى، وجدنا أن الحال مشابه لما هو في اللغة الألمانية. والكلمة الأكثر استعمالاً في اللغة الإنكليزية هي كلمة wit وهي تُستعمَل في معظم الحالات مرتبطةً مع صفة: clever-wit، ready-wit، quick-wit وكما هو الحال في اللغة الألمانية تُستعمَل في اللغة الإنكليزية أيضاً بمعنيين. يُقصَد بالأول ردّ الفعل التلقائي على هجوم، وبالثاني القدرة على إبداء ملاحظة فكهة في أي موقف. والأصل اللغوي في اللغة الإنكليزية يعطي الأهمية للجانب الفكه. فكلمة wit تعني نكتة في الواقع.

أما في اللغة الفرنسية فالمسألة معكوسة. ففيها تُستعمَل عبارتان هما: la promptitude de répartie و la promptitude de riposte. صحيح أن اللغة المتداولة، هنا أيضاً، تتضمن كلا المعنيين، ولكن الأصل اللغوي لكل من la répartie و la riposte يشمل، على العكس من اللغة الإنكليزية، مجال الكلمات التي

تعني «أرجع، أعاد، أجاب، ردّ».

ثمة عبارة أخرى عند الفرنسيين، ولكنها أكثر استعمالاً في اللغة الدارجة في البيوت، وهي: repondre du tac au tac. ولا يمكن ترجمة عبارة du tac au tac بـ«صلصل بالسيف». والحق أن الأمر لا يتطلب دراسة اللغات لمعرفة أية صورة يقوم عليها هذا النوع من سرعة البديهة. والقاسم المشترك لكلتا اللغتين هو الارتباط بـ«السرعة». فالكلمتين la promptitude وquick تشيران إلى وجوب الارتكاس بسرعة هنا.

أخيراً، إذا نظرنا في مفهوم «سرعة البديهة» من ناحية أصله اللغوي في اللغة الألمانية، لكان له وقع همجي Schlagfertigkeit فهنا يتم الضرب في الحال. والمقصود بالتأكيد ردّ الضربة أيضاً. أما المكوّنة الثانية للكلمة فهي Fertigkeit. والمهارات المختلفة كعزف البيانو أو السباحة أو قيادة السيارة يمكن تعلّمها، فلماذا يُفترَض أن يكون الحال مختلفاً مع سرعة البديهة؟.

من الطبيعي أن يتوقف هذا على الموهبة إلى حد ما. فعندما تتوافر فيك الموهبة، تصل إلى مستوى من سرعة البديهة أعلى مما هو الحال لو لم تكن متوافرة لديك. كما هو الحال تماماً في قيادة السيارات. ليس كل منا أهلاً للمشاركة في الفورمولا 1، ولكن كل منا قادر على تعلّم قيادة السيارة؛ على الأقل كل من لديه استعداد لبذل الجهد في سبيل ذلك.

أجوبة سرعة البديهة المنطوقة لها مفعول أقوى من المكتوبة

بعد انتهاء إحدى الدورات المسائية التي كنت أديرها في موضوع سرعة البديهة، جلسنا، المشتركون جميعاً وأنا، في إحدى الحانات. لم يكن في المجموعة سوى مدخّن وحيد، وكان من الطبيعي أنه أشعل سيجارته المستحقّة بعد نهاية الدرس. فجأة، ودون سابق إنذار، وخزه أحد غير المدخّنين على سبيل الدعابة: «ابتداءً من السنة القادمة سوف يُرمى جميع المدخّنين بالرصاص». فردّ المدخّن بإجابة مقتضبة انفجر لها الجميع بقهقهة مدوية. لاشك، عزيزي القارئ، في أنه يعنيك أن تعرف بِمَ أجاب. لقد قال: «في هذه الحالة لابد لكم جميعاً من دفع ضرائب مرتفعة». ربما لا تجد هذه الإجابة بهذه العبقرية على الإطلاق.

لكنني أودّ لفت انتباهك إلى مشكلة تتعلق بالأجوبة سريعة البديهة، وهي أن أجوبة سرعة البديهة المكتوبة أضعف بكثير وأخفّ وقعاً من تلك التي نُطِقَ بها في الموقف الحقيقي. هذا ما كان عليّ تعلّمه لدى اشتغالي بهذا الموضوع. فالردود التي تُشهَد شخصياً أو تُرى في التلفزيون تفقد روعتها عندما تُقرأ على مجرد صحيفة من الورق. ومع ذلك يكون لها في الموقف الحقيقي أثرها المُفحِم وسريع البديهة.

عندما تدوّن بنفسك أجوبة فكهة، ثم يتملّكك لدى قراءتها الانطباع بأن لا مفعول لها، فلا يقعدنّك هذا عن إعطاء هذه الأجوبة بدقة في الموقف الواقعي. فمفعولها منطوقةً أقوى دائماً.

أوجه سرعة البديهة على أرض الواقع

يعالج هذا الكتاب سرعة البديهة في أوجهها كافة. وهذا يشمل سرعة بديهة «مؤدّبة» لا تؤلم أحداً من حيث المبدأ، ولكنه يتضمن أيضاً سرعة البديهة الأخرى، اللاذعة، التي هي أوسع انتشاراً بكثير من سرعة البديهة «المهذّبة اللطيفة».

لا يكفي أن تكون دائماً لطيفاً ومحبّباً.

(هاري هولتسهوي)، مدرّب التواصل السويسري المعروف، كان ضيف (روجر شافينسكي)، المتحدّث الأطول لساناً في سويسرا. ومن المعروف عن هذا الأخير أنه يهاجم ضيوفه دون هوادة ويستدرجهم إلى مواقف خطرة. وللأسف، فإن (هاري هولتسهوي)، باستراتيجيته في الإطراء والمديح، «سيد شافينسكي، أنت محفِّز ومحرِّك أسطوري، وأنا أذكرك دائما كمثال نموذجي»، لم يستطع أن يخلق عند المتحدّث أي رادع يردعه عن الوخز وطول اللسان. فقد تابع (روجر شافينسكي) الوخز واللذع دون تأثّر ودون كلل أو ملل: «يمكن اختزال

جميع كتبك في ثلاث جمل، وهاأنت الآن في صدد وضع كتابك الحادي عشر». ولم يكن منظر السيد (هولتسهوي) يسرّ صديقاً ولا عدوّ. هنا، في مثل هذه الحالات، تسعفنا سرعة البديهة التي «تضرب» فعلاً.

تنصّ النظرية في كتب الاتصال على ما يلي: إذا قدّرت الآخر، قدّرك هو أيضاً. هذا صحيح، وهو ينطبق على الكثير من الحالات، فيما عدا بعض الاستثناءات. ومن أجل هذه الاستثناءات تحديداً عليك أن تكون مسلّحاً.

يريد هذا الكتاب وصف الحالة الواقعية كما هي، واقع الأمر في سرعة البديهة مثلما تواجهنا في الحياة المهنية والحياة الخاصة، في السياسة وفي وسائل الإعلام. عليك أن تصبح سريع البديهة في قواعد اللعبة الحقيقية للحياة، لا في القواعد السائدة في إطار نظرية الاتصال السليمة.

كيف تجني الفائدة القصوى من هذا الكتاب

أقدّم لك في الفصول التالية فنون وأساليب سرعة البديهة. وفي نهاية كل فصل تجد أمثلة تدريبية تتضمن الأجوبة الممكنة. أنت لست مضطراً للبحث عن أجوبتك الخاصة في هذه الأمثلة التدريبية إلاّ إذا نال الأسلوب إعجابك. وإلاّ فاقرأ الأمثلة مع الأجوبة مجرد قراءة. ينبغي عليك مبدئياً تعلّم ما يسرّك ويروق

لك فقط.

كما تجد في الكتاب، إضافة إلى الأساليب، استراتيجيات وقواعد وتلميحات ووجهات نظر أساسية. جميع الأساليب، التي يمكن التدرّب عليها واحداً واحداً في إطار مبدأ الهجوم اللفظي/ الردّ، مزوَّدة برقم موضوع ضمن هلالين إلى جانب عنوان الفصل، مما يسهّل عليك عملية التدريب المنظَّم.

في الكثير من الأساليب تحد أجوبة قياسية صالحة للاستعمال بشكل عام؛ إذ تم اختيارها بحيث يمكنك استخدامها دائماً تقريباً، وبالتالي تنجو من الخطر مؤقتاً في معظم الهجمات اللفظية.

عندما تتعرّض للهجوم، يدخل دماغك في حالة من الشدّة النفسية، ما دام هو غير مبرمَج إلاّ على الهروب أو الهجوم، فيُصاب تفكيرك بالشلل، وتدور أفكارك تائهةً في منزلق دائري لا نهاية له. «يجب عليّ الآن أن أجيب بشيء ما». وجراء هذا الضغط لا يخطر لك أي شيء بدايةً. وبعد ساعة تعثر على الجواب. طبعاً، فقد زالت عنك الشدّة النفسية. من هنا، فإن وظيفة الأجوبة القياسية تتمثل في الحؤول دون وقوعك، في حالة تعرّضك للهجوم، في حالة الصدمة هذه، التي تشلّ التفكير الهادئ. تتمكّن من استخلاص الردّ كما يُستلّ المسدّس من غمده.

كي يكون ردّ فعلك سريعاً في المستقبل، وبالتالي تحافظ على أهلية التصرّف من حيث المبدأ، من المهم أن تجيد الاستخدام التلقائي لجدول منظور من الأجوبة القياسية. وعليك أن تختار في النهاية خمسة أجوبة فقط من الأجوبة القياسية المعروضة في الكتاب، وتحفظها عن ظهر قلب. انقلْ الأجوبة التي اخترتها إلى السطور الفارغة في الصفحة. أما إذا أردت أن ترسّخ في ذاكرتك أكثر من خمسة أجوبة قياسية، فقد ينشأ خطر يتمثّل في طول فترة بحثك ضمن إمكانيات الإجابة أكثر مما ينبغي، لتفاجأ بفوات أوان الردّ.